

مخطوفون تخلت عنهم الدولة



يوسف حاج علي

يطير سرب صغير من عصفير الدوري عن الشجرة ويحط على العشب الأخضر قبل أن يتفرّق كل عصفور منه إلى ناحية بحثاً عن فئات يقاته. يكاد الصمت يكون مطبقاً في «حديقة جبران خليل جبران» في وسط بيروت. في الحديقة الهادئة حيث تنتصب خيمة أهالي مخطوفي الحرب ومفقودها منذ أكثر من سبع سنوات ليس أكثر من خمسة أو ستة أشخاص. عاملاً تنظيفات قررا الاستراحة في فيء شجرة وارفة. عاشقان تعانقا واختبأ عن العيون المتطفلة تحت شجرة أخرى. ورجلا أمن، واحد بلباس مدني وآخر بيزة «قوى الأمن الداخلي»، جلسا على مقعد خشبي يقتلان الملل بجهازيهما الخليين. بين وقت وآخر، تجمعت مجموعة عصفير الدوري نفسها لتطير إلى الشجرة التي انطلقت منها قبل أن تعود مجدداً إلى العشب الأخضر. غلت ماجدة بشاشة، شقيقة المخطوف أحمد، القهوة فوق النار داخل الخيمة، وصيبتها لسامية عبدالله، شقيقة المخطوف عماد. القهوة هذه يحفظ طعمها جيداً أبو عماد، الجينياتي الذي يقلّم أشجار الحديقة ويسقيها كل يوم. كان يمكن لهاتين السيدتين ألا تلتقيا أبداً، لا في الماضي ولا في الحاضر، لو لم تجمعهما قضية واحدة عنوانها الاختطاف.

كان يمكن لهاتين السيدتين ألا تلتقيا أبداً لو لم تجمعهما قضية واحدة عنوانها الاختطاف (د. علوش)

أخذت ماجدة على عاتقها النوم في الخيمة مع أمنة شرقاوي والدة مخطوف آخر، أحمد. تام ماجدة، صاحبة العينين الزرقاوين الغائرتين في التسد من الخميس إلى الاثنين في الخيمة. وتمضي أمنة، ذات الظهر المحدودب الذي لا يقوى على حمل الجسد، بقية أيام الأسبوع فيها. تحضر من د حيث تعيش في غرفة تقع لناحية قريبة من سكن حفيدها، ابن ولدها المفقود. تتناوب السيدتان على الاهتمام بالخيمة بعد رحيل أوديت سالم، شهيدة الخيمة وحارستها. أوديت، والدة المخطوفين ريشار وماري كريستين، قد على بعد أمتار من الخيمة بعدما صدمتها سيارة أثناء عبورها الشارع من ناحية إلى أخرى. حملت معها أسئلتها التي ظلت من دون إجابات إلى : آخر. عالم ربما يكون أكثر عدالة. وتركت الخيمة وديعة في أعناق البقيات. تذكر سامية اختطاف شقيقها عماد ذات حزيران من العام 1984 في مدينة طرابلس. كان الشاب العشريني أعزب وضابطاً برتبة ملازم في «حرّ فتح». قبض عليه «المردة» وعندما عرفوا أنه فلسطيني سلّموه لمجموعة من «فتح - الانتفاضة» التي سلمته بدورها إلى السوريين، على ما ع لاحقاً. ومذاك لم تره مرة واحدة، «غير أن كثيراً أكدوا رؤيته في السجون السورية». تضيف: «كان رامياً للمدفعية ويقاتل إسرائيل. خلال الاجتياح الإسرائيلي العام 1982 جاء في إحدى المرات أطرش من قلعة الشقيف التي كان يقاتل فيها. اعتقلته إسرائيل وعذبته. ولم يقاتل غيرها». لا تستنني سامية أبياً من الأحزاب اللبنانية المشاركة في الخطف. ولا تستنني الفلسطينيين أيضاً. تقول هذا، مؤكدة أنها لم تعد تخاف. صارت جد اليوم. في ما مضى كانت والدتها تتابع القضية. بعدما توفيت الوالدة أخذت المهمة على عاتقها. ترفض سامية الخطف والخطف المضاد. ففعل الخطف «يحرق قلب الطرفين. نحن أقوياء على بعضنا بالخطف لأن الزعماء علمونا الحقد. الخاطف من الإنسانية والضمير والمحبة. وهو حقود ومريض». ترتب كلماتها قبل أن تطرح التساؤل التالي: «ماذا لو اختطف ابن وزير أو ابن نائب. ماذا كانوا سيفعلون حينها؟».

ومثل سامية، ترفض ماجدة بشاشة الخطف بكل أشكاله. كيفما كان وكائناً من كان مسؤولاً عنه. يوم اختطف شقيقها أحمد في منطقة خلدة كا ثماني عشرة سنة. قبضت عليه «الصاعقة» خلال توجهه من بلدته برجا إلى بيروت. لاحقاً يسلم إلى السوريين، تذكر ماجدة. وتقول آخر أخباره كان موجوداً في سجن المزة.

تهتم ماجدة وأمنة بالخيمة اليوم. الخيمة الأخيرة كان قد تقدم بها النائب السابق سليم عون ومجموعة من شباب زحلة في «التيار الوطني الحر» هذا لم يزرها النائب ميشال عون ولا أي من زعماء «الصف الأول» منذ نصيها. حتى أن بعضهم رفض استقبال أهالي المفقودين والمخطوفين لمج البحث معهم في الموضوع. أما الباقون، من زعماء الصف الثاني وما دون، فاكتفوا بالتقاط الصور التضامنية أمام الخيمة. وبقي النائب غسان مخيبر على المشاركة في أغلب نشاطاتها.

هكذا، لا في أيام «السلام اللبناني» المؤقت الذي حلّ بعد الحرب، ولا في حمأة الخطف المجنون التي دارت مؤخراً انتهت الدولة للحظة إلى هذا الخيمة أو إلى أصحابها. لم تشأ أن تراها. وقررت غض البصر عنها على الرغم من أن فيها قصص عائلات أكثر من سبعة عشر ألف مفقود ومخطود

فالدولة، المشكّلة اليوم من الأحزاب والقوى التي مارست الخطف خلال الحرب، خرجت لتدين فعل الخطف بعدما نسيت قبله أن تدين نفسها. لذّ الأهالي، أو من بقي منهم على الأقل، لم يستسلموا ولم يتخلوا عن قضيتهم. لم ولن يفعلوا هذا الأمر.

راهنّت الدولة على النسيان والموت. أوديت سالم قضت في حادث سيارة. سميرة زخريا والدة المخطوف إسكندر مريضة جداً وتمضي معظم وقت المستشفى. منيرة طباع والدة المخطوف عادل توفيت. كمال شمعون والدة المخطوف جوزف توفيت أيضاً. أم المخطوف إيلي حداد (عسكري في الجيش)، عادت إلى زحلة. فاطمة الزيات، والدة المخطوفين غسان وفادي مريضة. لم تعد تزور الخيمة كما في السابق. كذلك أم محمد الهرباوي. لكن الباقيات والقادرات، مثل أمينة وماجدة وسامية وغيرهن لن يتخلين عن الخيمة مهما حصل. تقول ماجدة: «أمي أوصتني. قالت لي لا تركي أخيك». والوصية لحاملها الأمين، كما القضية، لا تحتل التخلي مهما طال الزمن.

«المعتقلين في سوريا»:

أين الدولة؟

طالب رئيس «لجنة المعتقلين اللبنانيين في السجون السورية» علي أبو دهن وزير الداخلية بتسليم قضية المعتقلين في السجون السورية على إطلاق سراحهم كما يحصل مع المخطوفين، الذين «نأمل عودتهم سريعاً إلى لبنان».

أضاف «ندعو السياسيين الى العمل من أجل الافراج عن المعتقلين»، مشيراً الى «تحرك ستقوم به اللجنة لقضية إنسانية تصب في خانة إطلاق سراح المعتقلين اللبنانيين في السجون السورية».

وأشار إلى أن الاتصالات مع «الأمم المتحدة» قائمة، «وفي حال لم تتم الاستجابة إلى مطالبنا سنعمد إلى تقديم شكوى إلى مجلس الأمن، إلا نزال تحت سقف الدولة ولا نريد أن نتخطى حدودها لأنها هي المسؤولة على الرغم من أنها تظهر عدم مسؤوليتها».

وإذ كشف «أننا سلمنا 610 أسماء إلى السلطات السورية وقد نفت وجودهم»، سأل: «من أين أتى المحرّر يعقوب شمعون»، مؤكداً «وجود معتنّ لبنانيين في السجون السورية أسماؤهم معروفة».

HARE



اقرأ للكاتب نفسه

- بيوت فوق «براكين» 24/09/2012
- الأطفال يرسمون الحياة قرب البحر 22/09/2012
- طلاب «14 آذار»: رسالة ديبلوماسية 30/08/2012
- الخياطة أربينية طوروسيان: عزباء وجميلة إلى الأبد 23/08/2012
- مستقبل الطلاب اللبنانيين في سوريا معلق على المجهول 10/08/2012

البريد الإلكتروني

الإسم الكامل

التعليق

أقصى حد للمشاركة هو 350 حرفاً - [شروط الاستخدام](#)
تم مراجعة المشاركات قبل نشرها

الرجاء إعادة كتابة الرقم الموجود في الصورة



إرسال